لقد بقي استخدام كل هذه الأسلحة مع التطور الذي أجري عليها، لفترة زمنية، حتى بعد اكتشاف البارود والمدفع. وتشير المصادر نفسها إلى أن أول استعمال مناسب للبارود كان في اوروبا في معركة كرتسي (*Crecy*) سنة ١٣٤٦.

المدفع الأقدم (*Early Cannon*): تقول معظم التكهنات أن المدفع العربي (*Madfaa*)، هو الأصل الذي نقل إلى الغرب، لكن كيف؟ ومتى صنع هذا؟ غير معروف ! وتشير المصادر نفسها إلى أن البربر (*Moor*)، هم أيضاً أول من استعمل مثل هذه الأسلحة في ساراغوسا (*Saragossa*) سنة ١١١٨، وأن الاسبان استعملوها في حصار قرطبة في سنة ١٢٨٠، وفي احتلال جبل طارق سنة ١٣٠٦. وتقول أيضاً، أن هذه المدافع القديمة، كانت صغيرة جداً مثل المزهريات، ومصنوعة من الحديد أو الفولاذ البرونزي، بسبطانة مدفع ترتفع بواسطة تكويم التراب، وكانت تستخدم في دفع السهام مثل القذائف، وتأخذ واجباً مهماً خلال المعارك، خاصة في عمليات الحصار.

استمر هذا الوضع – وفي نهاية القرن الرابع عشر أصبحت المدفعية أساساً في كل الجيوش الاوروبية –إلى أن جاء عهد القذف بالقنابل، وذلك نتيجة للتقدم التقني في السبك والصب والصهر، واستخدام البارود. وكان ذلك في القرن الخامس عشر، حيث استخدمت هذه المدفعية، رغم ثقل وزنها، وقصر سبطاناتها، وقلة مداها، في حصار القسطنطينية سنة ١٤٥٣.

وفي سنة ١٦٧١ من القرن السابع عشر، أنشأ لويس الرابع عشر الفرنسي أول تنظيم للمدفعية، وشكل كتيبة مدفعية، ومدرسة لتأسيس المدفعيين. وفي سنة ١٧١٦، أنشأت انكلترا كتيبة المدفعية الملكية.

وفي القرن التاسع عشر، حيث تطورت الصناعات التقنية، واستخدم البارود بشكل أفضل على أيدي المدفعيين البارعين. وأثناء حصار باريس، كان هناك شعور بضرورة تطوير مدى المدفعية وقوة تأثيرها، لتصبح قادرة على السيطرة على الهدف، ومسكه من بعيد، دون الحاجة للمشاة. ومن هنا تم التغلب على كثير من المشاكل، وتطورت صناعة المدافع، وظهرت الأجزاء الميكانيكية سريعة الحركة، ومما ساعد في تطويرها أكثر، وقوع الحربين العالميتين الأولى والثانية، واللتين كانتا بمثابة ميادين تجارب للأسلحة .ومنها المدفعية، التي تطورت صناعتها وأخذت الأشكال الحالية المتطورة من مختلف العيارات والاحجام، خاصة المدافع الذاتية الحركة، المدرع منها، والشبه مدرع، والتي ترمي القذائف المتفجرة والرؤوس النووية.

تطور المدفعية في الثورة الفلسطينية

كانت المدفعية الفلسطينية في المراحل الأولى من تطور قوات الثورة الفلسطينية، مؤلفة من مدافع المورتر الصغيرة الحجم، قليلة المدى، من عيار ٦٠ ملم، و٨١ ملم، والتي شكلت السلاح الأساسي للمدفعية الفلسطينية، وكان الهاون ١٢٠ ملم يشكل السلاح الثانوي، لثقله النسبي في ذلك الوقت. وبعد ذلك أصبح الهاون ١٢٠ ملم السلاح الأساسي